

تفسير البحر المحيط

@ 162 % (تهوي إلى مكة تبغي الهدى % .

ما مؤمنوا الجن ككفارها .

%) .

وقال أبو عبد الله الرازي : هذا المثل في غاية الحسن وذلك أن الذي يهوي من المكان العالي إلى الوهدة العميقة يهوي إليها مع الاستدارة على نفسه ، لأن الحجر كان حال نزوله من الأعلى إلى الأسفل ينزل على الاستدارة وذلك يوجب كمال التردد والتحير ، فعند نزوله من الأعلى إلى الأسفل لا يعرف أنه يسقط على وضع يزداد بلاؤه وبسبب سقوطه عليه أو يقل ، ولا تجد للحائر الخائف أكمل ولا أحسن من هذا المثل ؛ انتهى . وهو كلام تكثير لا طائل تحته وجعل الزمخشري قوله : { لَهْ أَصْحَابٌ } أي له رفقة وجعل مقابلهم في صورة التشبيه المسلمين يدعونه إلى الهدى فلا يلتفت إليهم وهو تأويل ابن عباس ومجاهد ، وجعلهم غيره { لَهْ أَصْحَابٌ } من الشياطين الدعاة أو لا يدعونه إلى الهدى بزعمهم وبما يوهمونهم فشبّه بالأصحاب هنا الكفرة الذين يثبتون من ارتد عن الإسلام على الارتداد . وروي هذا التأويل عن ابن عباس أيضاً وحكى مكي وغيره أن المراد بالذي استهوته الشياطين هو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وبالأصحاب أبوه وأمه ، وذكر أهل السير أنه فيه نزلت هذه الآية دعا أياه أبا بكر إلى عبادة الأوثان وكان أكبر ولد أبي بكر وشقيق عائشة أمهما أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية وشهد بدرًا وأحدًا مع قومه كافريناً ودعا إلى البرار فقام إليه أبوه أبو بكر رضي الله عنه ليبارزه فذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم (قال : (متعني بنفسك) ثم أسلم وحسن إسلامه وصحب الرسول عليه السلام في هدنة الحديبية وكان اسمه عبد الكعبة فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم) عبد الرحمن ، وفي الصحيح أن عائشة سمعت قول من قال : إن قوله : { وَاللَّذِي قَالَ لِيَا أَبْنَاءَ اللَّهِ أَطِيعُوا } أُلْفَ لَكُمْ مَا { أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فقالت : كذبوا والله ما نزل فينا من القرآن شيء إلا براءتي . .

قال الزمخشري (فإن قلت) : إذا كان هذا وارداً في شأن أبي بكر فكيف قيل للرسول : { قُلْ أَتَدْعُونِي } . قلت : للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين وخصوصاً بينه وبين الصديق رضي الله عنه ؛ انتهى . وهذا السؤال إنما يرد إذا صح أنها نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن ولن يصح ، وموضع { كَالَّذِي } نصب قيل : على أنه نعت لمصدر محذوف أي رداً مثل رد الذي والأحسن أن يكون حالاً أي كائنين كالذي والذي طاهره أنه مفرد ويجوز أن يراد به معنى الجمع أي كالفرق الذي وقرأ حمزة استهواه بألف مماله .

وقرأ السلمي والأعمش وطلحة : { اسْتَهِوَتْهُ } الشيطان بالتاء وأفراد الشيطان . وقال الكسائي : أنها كذلك في مصحف ابن مسعود ؛ انتهى . والذي نقلوا لنا القراءة عن ابن مسعود إنما نقلوه الشياطين جمعاً . وقرأ الحسن : الشياطين وتقدم نظيره وقد لحن في ذلك . وقد قيل : هو شاذ قبيح وظاهر قوله { فِي الْأَرْضِ } أن يكون متعلقاً باستهوته . وقيل : حال من مفعول { اسْتَهِوَتْهُ } أي كائناً في الأرض . وقيل : من { حَيْرَانٍ } . وقيل : من ضمير { حَيْرَانٍ } لا ينصرف ومؤنثه حيرى و { حَيْرَانٍ } حال من مفعول { اسْتَهِوَتْهُ } . وقيل : حال من الذي والعامل فيه الرد المقدر والجملة من قوله { لَهُ أَصْحَابٌ } حالية أو صفة لحيران أو مستأنفة و { إِلَٰى * الْهَدَى } متعلق بیدعونه وأتينا من الإتيان . وفي مصحف عبد الله أتينا فعلاً ماضياً لا أمراً فالى الهدى متعلق به . .

{ قُلْ إِنْ هُدَى اللَّـهُ هُودَى الْهَدَى } من قال : { إِنْ هُدَى * أَصْحَابٌ } يعني به الشياطين وإن قوله { إِلَٰى الْهَدَى } بزعمهم كانت هذه الجملة رداً عليهم أي ليس ما زعمتم هدى بل هو كفر وإنما الهدى هدى الله وهو الإيمان ومن قال : إن قوله { أَصْحَابٌ } مثل للمؤمنين الداعين إلى الهدى الذي هو الإيمان ، كانت إخباراً بأن الهدى هدى الله من شاء لا إنه يلزم من دعائهم إلى الهدى وقوع الهداية بل ذلك بيد الله